الشجرات الفتيَّة الى هذا التاريخ ومن النظر الى ما فيها من العقد يُقدَّر ان أعمارها لا تزيد على قرنين

وفي ٢١ تموز سنة ١٨٠٥ يخبر سيتزن عن ثلاثمائة ارزة بنوع التقدير اذ يظهر انهُ لم يعدّها واحدةً فواحدةً ٠ وفي سنة ١٨١٠ يخبر بورخارد عن ثلاثمائة ارزة صغيرة وخمسين متوسطة وخمس وعشرين ضخمة وجملة ذلك ٣٧٥ ارزةً ٠ وقد ذكر هذا العدد نفسه تقريباً الجيولوجي فراس الذي زار الغابة سنة ١٨٧٤ مما يدلّ على ان عدد الارزات قد بقي في زماننا على حالهِ

ومع كل ذلك لا يمتنع تكثيرها وفراراً من تكرار ما سبق لنا ايرادهُ في هذا الشان نحيل القارئ على المشرق (١ : ٧٢٧ و ٣ : ٩٧٦) حيث تكلمنا عن هذه المادة وأقمنا المقابلة بين لبنان وجبال الألب

وقد مرَّ القول انَّ الارز يوجد ألافاً متفرقة ما بين كبيرة وصغيرة في أماكن مختلفة من جبل لبنان ٠ وهذا يثبت انهُ يقوى على النجاح والنموّ فيهِ ٠ بقي ان نقول ان الارز يوجد ايضاً في تماثيل التابعة البقاع وذلك في ارض الآباء اليسوعيين الذين امتحنوا زراعتهُ عندهم فافلحوا ٠ امَّا في خارج لبنان فيوجد الارز بكثرة في جبال قرمانية وجبال جزائر الغرب ٠ وكل هذا من شأنهِ ان ينشط مساعي الذين يهتمون بحفظ الاشجار الجميلة التي كانت زينة وحلية في جبين لبنان منذ الدهر القديم (١ (ستأتي البقية)

ما ورثهُ اهلُ العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني

ورث اهل العراق الحاليُّون عن سكَّانهِ القدماء آداباً وحرفاً جمةً مما يدل على ان التواتر والتقليد سُنَّة قديمة في الشرق يحافظون عليها كل المحافظة وقد استقصيتُ اثرها واستجليتُ امرها بمطالعة الكتب التاريخيَّة العزيزة حتى انهُ لم يبقَ لي ريب فيها ٠ ثم

---

١) اما طريقة تكثيرها فراجع في شأنها ZDPV, X, 93

حداني حادٍ ان افيد القرّاء بذلك لتحريضهم على ان يُطرفونا بما هو من بابهِ عن بلادهم إذ ارى انهُ من اللازم اللازب على كل انسان ان يتفرَّغ للمطالعة وان ينقّب عن سكَّان بلاده الاصليين وعن مصدر معارفهم ونشوء صنائعهم واختلاف ازيائهم وما شابه ذلك. ثم يرجع الى التفريق بين اولئك وبين احوال سكَّانهِ الحاليين كي يقدّر سمو مداركهم حق قدرها ويعطي لكل قوم قضاءهم. فهذا اذاً جلّ مقصدي مما انطوى عليهِ هذا البحث الجليل. وتسهيلاً للأخذ قسَّمتهُ الى فصول متعددة راجياً من المطالع المتضلع بهذا الفنّ ان يسدّ الخلل. ويغضّ الطرف عن الزلل وعلى الله الُمتّكل

وقبل الخوض في الموضوع اذكر القوم بامرٍ هو خلاصة الجاني وهو ان سلالة البابليين قد انقرضت وبقي منها شُوايَة محصورة في عشيرة يبلغ عدد افرادها ألفين تعرف بالصابئة وهي الامة التي يبحث عن معتقدها واصلها الاب انستاس الكرملي في المشرق المفيد. وان سلالة الاشوريين ايضاً قد انحتت وبقي منها شُواية تعرف باسم الاكراد ويسميهم المؤرخون بالكوشيين (Cosséens) وهم يسكنون الآن الجبال الواقعة بين حدود العراق وبين العجم على مسافة ١٥ يوماً من بغداد. ومما يشهد بذلك ضخامة اجسامهم وقوَّة عضلهم الشهيرة المقرونة باللباقة وغلاظة طباعهم مع ذكاء فِطري ومزاولتهم صنائع بديعة صعبة المنال هي بقايا مما اخذوه عن اجدادهم. والخلاصة انهم يذكروننا باقوال ارميا النبي اذ يصف العسكر الاشوري: «. . . ها انهُ يصعد كغمام وعجلاته كالزوبعة وخيله اخفّ من العقبان. . . .» الفصل ٤: ١٣ ثم يقول: «هأنذا اجلب عليكم امةً من بعيد امة قويَّة امة قديمة. . . . كلهم جبابرة.» الفصل الخامس: ١٥ و ١٦

ولقد طرق مسامعي غير مرَّة ادعاءات فارغة اوهن من نسيج العنكبوت صادرة عن بعض المتسين الى الطائفة الكلدانية مغزاها ان نسلهم يرتقي الى البابليين القدماء. وانَّهم هم الأحقُّون بذلك الاصل من سواهم

اقول حسبهم تفنيداً مطالعة تاريخ الكنيسة الكاثوليكية فانهُ يطلعهم كفاية على اسباب تلقيبهم بالكلدانيين ان الله مع الصادقين

١ البناء

اذا زار اليوم احد الزوار ارجاء العراق شاهد المنازل والمخازن والقصور الشاهقة والقلاع الخ مبنية كلها بالاجرّ وهو الطابات بلسان العراقيين. وهذا النوع من البناء هو مما

اخذوهُ عن الاشوريين والبابليين ولم يزيدوا عليهِ ادنى تغيير بالذكر جدير سوى النشر والنحت اي ان القدماء كانوا يتخذون الاجرّة بصحتها وعلى حالها كما كانوا يستخرجونها من الأتون. امّا الآن فاهل العراق يصنعون الاجرة اصغر حجماً من الاجرّة القديمة وينشرونها نصفين ثم ينحتونها نحتاً تاماً حسب الاصول اللائقة بموقعها من البناء

هذا ولا انكر على القدماء ان قد فاتتهم هذه المعرفة فان هذا الوهم مني بعيد بل يجوز لي الرجم انهم تركوا الاجرّة على حالتها تعمّداً لكي تقاوم حوادث الزمان مدة مديدة وكأني بهم حسبوا ان تقسيم الجسم يؤدي بهِ سريعاً الى البوار والتلف. ولذا ترى باقيةً الى يومنا هذا آثاراً عديدة ضاحكة ببقاء آجرها الصحيح الحجم من عوامل الطبيعة وكوارث الحدثان

امّا البنايات الحديثة فان صاحبها يُضطَر الى اصلاحها كل عشرين سنة او ثلاثين على الأكثر اذا لم يُرِد ان يداهمها الخراب. ويعشش في زواياها البوم والغُراب. اما القدماء فكانوا يرممون عماراتهم مرة واحدة كل مائتي سنة وربّما كل خمسمائة حول وكل الف حجّةٍ. واليك بهذا الخصوص ما قرأهُ علماء العاديات على احد الآثار وفيهِ ذكر إصلاح لبناء جرى في زمان الملك نبونيد (خليفة نبوخذ نصر): «ان هرم هيكل النور العظيم الذي باشر باقامتهِ ولم يُتِمهِ لِكْ بَاْجس (Lik Bagus) الملك العريق في القدم..... ان هذا الهرم قد تداعى لتقادم عهدهِ...... فأمرتُ باعادة بنائهِ بالاجرّ والقير كما كان قبلاً» ويفيدنا علماء العاديات عن هذا الهرم وهيكلهِ انهُ كان قد بُني من مدّة الفي سنة قبل ترميمهِ على يد الملك نبونيد. فتأمل

ولنرجع الآن الى ما كنا فيهِ فنقول ان البناء بالآجرّ لهو من اعرف الاشياء قدماً. يرتقي قدمهُ الى الوف من السنين وتشهد لنا بذلك التوراة اذ تقول: «وقال بعضهم لبعضٍ تعالوا نصنع لَبِناً وَنَشوِهِ شيًّا فكان لهم اللَبِن بَدَل الحجارة والحُمَّر كان بدل الطين.....» التكوين ١١: ٣

وكان اولئك القدماء يتخذون الطين للبناء على طريقتين. امّا مطبوخاً واما غير مطبوخ ففي الحالة الاولى يُسَمّى آجرًّا وفي الثانية لبناً. فكانوا يأخذون كمية من التراب ويعجنونها بالماء حتى يَغدُوَ طيناً. فيفرغونهُ في قوالب مكعبة منتظمة الزوايا ويعرضونهُ للشمس وللهواء مدة قليلة ثم يطبخونهُ في اتون نار حامية. وعلى هذه الطريقة يُستحضر

اللبن الَّا انهُ لا يُحرق بالنار بل يُشمَّس مدة طويلة وقد يُضاف اليهِ تبن ليزداد صلابةً ومناعةً

وكانت هيئة الآجرّة محكمة مستقيمة الزوايا طولها واحد وثلاثون سنتيمترًا وثخنها عشرة سنتيمترات وهكذا كان حجم اللبنة. امَّا اليوم فيستحضر العراقيون الآجرّ واللبن على هذا النمط عينه الَّا ان شكلهُ مربع وحجمهُ يبلغ نصف حجم الآجرّة القديمة وما ينيف على ذلك. وظلَّ الاشوريون والبابليون على ما كان ساداتهم من إقامة ابنيتهم كلها بالآجرّ. اما استحضارهُ والعمل بهِ فكان من الواجبات المفروضة على الاسرى المستعبدين لهم وهاك تفصيل كيفية البناء في ذلك الزمان

يبتدئ اولًا الفعلة بإحكام الاساس إحكامًا متقنًا وذلك يقوم على حفر الارض على طول البناء حفرًا عميقًا يبلغ ثلاث قامات لان قيعان هذه الارجاء رخوة هشّة لا تحمل فوقها بناء شاهقًا ثقيلًا. ثم تُدكُّ الحفرة دكًّا بالآلات حتى تصلب الحفرة. وبعدهُ يرمون فيها طبقةً من الحَفَر (التراب المحفور) مع قليل من الماء. ثم يعيدون الدكَّ الاوَّل وهو الرصُّ بالمدقات وعلى هذا الوجه يجعلون طبقات عديدة بعضها فوق بعض الى ان يدفنوا من عمق الحفرة على هذا التوالي ما يناهز علوّ قامةٍ او ما ينيف عنها وحينئذٍ يأخذون بالبناء. وذلك بان يصفُّوا الآجرّ على حجمه الكامل الواحدة جنب الثانية فيكمل الساف الاوَّل (الدماك) ثم انَّهم يرجعون الى راس الساف ويصفُّون من الآجرّ سافًا ثانيًا وهكذا يجري العمل الى ان يقوم الحائط بعلو عشرين ذراعًا او ثلاثين. وكانوا يجمعون الآجرّ بعضهُ الى بعضٍ بالنورة وهي الكلس الممزوج بالرماد او بالتراب الاحمر بعد تحويلهِ طينًا او بالكلس وحدهُ او اخيرًا بالقير الذوَّب. وعلى هذا الوجه ترى آثار قصر نمرود وقصر بابل مبنيين بالكلس وحدهُ. واما هيكل مدينة أور (وطن ابرهيم الخليل) فمبني بالقير وحده ومن ذلك أُطلق عليهِ لقب التلّ المكيَّر (يعني المقيَّر لأن عرب هذه النواحي يلفظون القاف تارةً جيمًا صريحة وطورًا جيمًا مثلثة فارسيَّة وآونةً كافًا مثلثة فارسية) ولا يعرف الآن الَّا بهذه التسمية وهو لا يزال ماثلًا وموقعهُ بين البصرة والعمارة يقصده كل سنة عدد من الرواد الاوربيين لاستكشاف مخافيهِ واستنزاف مخابيهِ. ومن ذلك ايضًا حيطان مدينة بابل فانها كلها مبنية بالآجرّ والقير. والبعض منها واقف حتى اليوم تشهد بطول باع بانيها. اما هيئة المنزل من داخل

وهندستهُ في ذلك الوقت فسيأتي الكلام عليهما في محلّهما

وربّما انكر علينا البعض كل ما اتينا بذكرهِ عن البناء في زمان البابليين عازيًا كلامنا الى الاختلاق والتلفيق لا غير. فاقول وقولي مستند الى هيرودوتس المؤرخ الشهير فانهُ لمّا زار بابل في القرن الخامس قبل المسيح اتاح لهُ الحظ ان يشاهد عيانًا بنيان سور المدينة ومنازلها فقال: «. . . كانوا يحفرون الارض ويستخرجون منها التراب ويُلَبِّنُونَهُ واذا كمل عدده طبخوه بنار اتون ثم يبنونهُ بالقير المذوَّب وبين كل ثلاثين سافًا من الآجرّ يفرشون طبقة من سعف القصب وبعد انتهائهم من اقامة السور الشاهق يباشرون ببناء سائر اسوار المدينة على ذلك المنوال »

والشاهد الثاني هو انَّ في متحف جمعيَّة الهند الانكليزيَّة وفي متحف العاديَّات البريطاني كتابات مسماريَّة عديدة منها ما مؤداهُ: انا نبوخذنصَّر قد أمرتُ ببناء هيكل الاله نَبُو في بابل بالآجرّ والقير حسب اصول الفن اكرامًا لهُ لانهُ الملك الاعظم الذي يمنح قضيب العدل ويُدبر اصناف البشر»

والكتابة الثانية تقول: « انا نبوخذنصَّر قد بنيتُ في بابل هيكل قاضي العالم بالآجرّ والقير اكرامًا للاله سَمَس (اي الشمس) الذي يلهم قلبي حاسيَّة العدل.»

وبقي هناك شواهد أُخرى دامغة ضربنا عنها صفحًا خوف الملل. وعدد عديد من الكتابات المسماريَّة على هذا المثال كلها تنطق بما أمر باصلاحهِ وترميمهِ الملك نبوخذنصَّر وغيرهُ من هياكل وقصور واسوار وأُسس الخ

امَّا طريقة البناء الجارية في هذه الايام فلا تختلف البتة عن الطريقة القديمة الّا في امور قليلة لا طائل تحتها وقد أشرنا اليها من كَسْر الآجرّ الى نصفين ونحتهِ ليس الّا. والموادّ التي تدخل في البناء من نورة وهي الكلس المخلوط بالرماد والكلس وحدهُ والتراب الاحمر بقيت هي هي. ولم يبطل الّا استعمال القير فقط وذلك لكُلفهِ وصعوبة ذوبانهِ ولكراهة رائحتهِ ولقلَّة وجود من يشتغل بهِ. غير ان الحمَّامات والأَحواض وما ضاهاها لا تُبنى الّا بالقير والآن لا يوجد في كل العراق ووَسعهِ الّا بُلَيدة واحدة تدعى هِيت لا تستعمل في بنائها كلهِ الّا القير لوجود ينابيع قيريَّة عديدة في جوارها ولفقر أهاليها وقناعتهم بما هم عليهِ. وسوف يأتي الكلام عن هذه الينابيع في بحثٍ غير هذا ان شاء الله

وربَّ سائل يقترح علينا هذا الاقتراح وهو: ألم يستعمل القدماء ابدًا الحجر الاصم؟ أجيب بلى ان الاشوريين والبابليين استعملوهُ في امور منها حفر الصُّوَر الناتئة وتبليط القصور الملكيَّة والرَّدهات العموميَّة وإقامة الأُسس المتينة وما شاكلها. واثباتًا لذلك نستشهد بكلام المؤرخين ديودورس وهيرودوتس اذ يقولان: انك ترى بين مُسنَّيات نهر الفرات المبنيَّة بالآجرّ جسر المدينة وقد وصل جانبها الواحد بالثاني وهو معقود بحجارة جسيمة جدًا مرتبطة الواحدة بالاخرى بقضبان حديديَّة وقد صُبَّ عليها الرصاص صبًّا » (١

ولم تزل بقايا هذا الجسر العظيم في قيد الوجود تصارع عوامل الطبيعة وهي مدفونة في مياه دجلة على مسافة اربع ساعات من الموصل وتعرف الآن « بالعوَّاية » اي العوَّاءة وسبب هذه التسمية ان المياه بمرورها خلال تلك الاحجار الجسيمة المتفارقة المتباعدة بعضها عن بعض تُولد بسرعة حركتها دويًا مهولًا يشبه عُواء الكلب ويُسمَع على بُعد ساعتين. وهذا الدويّ يبلغ أقواهُ في فصل الصيف لان النهر يأخذ بالنقصان حينئذٍ فتظهر رؤوس الاحجار من بين المياه وتعلو فوقها رويدًا رويدًا حتّى يَبين اكثر حجمها. وامَّا في الشتاء فلا يسمع ذلك الصوت لان غزارة المياه تغطيها بالكليَّة. وهكذا ذهب الاشوريون وخلَّفوا لاهل العراق آثار ذلك الجسر العظيم ولم يُورثوهم معرفة كيفيَّة بنائهِ وهندستهِ. اه

ركوب النهر

كان الاشوريون والبابليون اذا أرادوا ركوب النهر او عبوره يتخذون الوسائط الست الآتية: الجسر والسفينة والكلك او الطوف والقارب والقفة والقربة المنفوخة

١ (الجسر) قبل البحث عنهُ نستأذن القارئ في وصف بابل ثمَّ نتطرَّق الى الكلام عن الاسباب التي دفعت البابليين الى مدّ جسرٍ على الفرات خفيف النقل سهل التركيب سريع الحلّ

ان حسن موقع بابل على الفرات في وسط بريَّة مستوية واسعة الارجاء مكشوفة الجهات أولد رغبةً في نفوس سكَّانها لجعلها مركزًا بديعًا وحصنًا منيعًا تدوم على دوام تعاقب الجديدين وتصدّ هجمات العدوّ لتردهُ على عقبهِ. ويرجع سهم الطامع الى لبّهِ.

(١ Hérodote I, 1861 ; Diodore II, VIII, 2.

حوطوها بخندق طافح بالماء الجاري وأقاموا بعيدًا عنهُ سورين عظيمين اسم الواحد امغوربيل (Imgur bel) واسم الثاني نيفيت بيل (Nivitti bel) كما ورد ذكرهما في النصوص المسمارية. وقد باشر بناءهما الملك لسرحدون ولم تفرغ الايدي منها ألا على عهد نبوخذ نصر. واسنادًا لهذا القول نستشهد بكلام هيرودوتس: « ان بابل واقعة في سهل عظيم فسيح وهي مربعة الشكل وكل جانب منها يبلغ طولهُ عشرين استارة (اي ٢٢٢٠٠ متر) . . . . وبالجملة فهي مدينة عظيمة لا نعهد لها نظيرًا ويكتنفها خندق عميق مفعم ماء ويليهِ سور سمكهُ خمسون ذراعًا ملكية وعلوه مائتا ذراع . . . . . ولهذا السور على طول حافته ابراج دفاع في كل منها حجرة تقابل حجرة أخرى وجعل في خلال الابراج مسافة كافية لان تدور بها المركبة التي يجرها اربعة افراس وكان للسور مائة باب من نحاس وكذلك عضائدها واعتابها وعلى مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة هيت...»

ونهر الفرات يمرّ في وسط المدينة ويقسمها الى شطرين وهو نهر عظيم عميق سريع الجري. . . . فجعل السور الاول والثاني على شبه دعامة في النهر وهناك يبتدي سور مبني من الطاباق وعلى جانبيهِ من ناحيتي النهر وصيف. . . . . وطرق المدينة مستقيمة ومتشعبة مؤدية الى النهر وتجاهها في السور القائم على النهر منافذ ذات ابواب نحاسية يُنزل منها الى النهر وهي في عدد الطرق

« ان الاسوار الخارجة اقيمت لوقاية المدينة والداخلة ليست باقل تحصينًا ومتانة منها لكنها اقل عرضًا وفي اواسط شطري المدينة ما يقضي بالعجب وهو قصران احدهما للملك وسوره كبير عظيم حصين جدًا والآخر في المحل المخصوص بهيكل المعبود بيل وابوابه نحاسية ولا يزال قائمًا حتى اليوم. . . . » ١)

وكان بين هذين السورين المار ذكرهما ارض واسعة الاطراف يسكنها كل الاسرى الذين يسوقهم كل سنة ملوك بابل من الشعوب المختلفة الالسن المتباينة النحل. ولم يكن يُباح لهؤلاء الاسرى الاختلاط مع الشعب البابلي ولا مساكنتهم ولا مجالستهم على اي وجهٍ كان. فلهم مزارعهم ولهم مواشيهم ولهم اسواقهم ولهم مراعيهم وكل ما تميل اليهِ نفوسهم. وتفيدنا التوراة عن كثرتهم وعن اختلاف لغاتهم حتى كان بعضهم لا يفهم ما يقول الآخر

١) Hérodote I, livre 1 1861

ولقد اوقفنا هيرودوتس على غاية الحائط الخارجي وهي الدفاع في وجه العدو وسها عن ذكر فائدة الحائط الداخلي. ولكن غيره من المؤرخين صرَّح بان الغاية منهُ كانت صيانة الشعب البابلي من هجمات تلك الشعوب الغريبة المأسورة الحالَّة بين السورين اذا ما لعبت يوماً بافكارهم هواجس المعصية والهياج. ولتوطيد دعائم الامان من هذه الجهة اقام البابليون على الفرات جسرًا واحدًا من الخشب يربط قسمي بابل بعضهما حتى اذا جُنَّ الليل رفع الحراس الواح الارز القائمة منهُ ارض الجسر فامتنع الجولان وانقطع السيران وهكذا يصبح العدو تائهًا في فلوات ادباره وغائصًا في لجج افكاره

وترى اليوم في المتحف البريطاني قطعة نحاس هي جزء من ابواب مدينة بلوات القديمة وفيها صورة جسر طويل عريض يمرُّ عليهِ العسكر البابلي لقطع النهر وهو مؤلف من قسمين غير ملتحمين بعضهما قابلي الحلّ والتفريق في اي وقتٍ اراد صاحبه. القسم الاول منهُ: الدعائم وهي مؤلفة من سفن طوّافة مصفوفة بعضها جنب بعض على خط مستقيم وعلى سطحها الواح الارز وهي القسم الثاني. واذا يممت اليوم ارجاء العراق رأيت فيهِ جسورًا عديدة كلها تطابق رسم الجسر البابلي المار ذكرهُ بجميع تفاصيلهِ الدقيقة كأن الذي حفره هو بذاتهِ اقام جسور العراق الحالية. وهاك تفصيل كيفية تشكيلها

يتركب الجسر كلهُ من الخشب ودعائمه هي سفن طوافة يبلغ عددها العشرين واكثر واقل حسب عرض النهر وضيقهِ وتُصف السفن كلها على خط مستقيم بعيدة الواحدة عن الثانية مقدار متر واحد ونصف، تربطها بعضها السلاسل الحديدية لكي تصارع قوة جريان المياه. وليس حجم السفن بعظيم كما يتوهم البعض بل انما هو متوسط وسوف يأتي الكلام عن تركيب السفن الخ

وتقوم ارض الجسر من الواح من الخشب الاعتيادي تغطي وجه السفن كلهُ وعلى هذه الالواح تفرش الحصر المتخذة من القصب وتعرف عندهم بالبواري ثم يُفرش عليها طبقة من التراب يرشهُ اهل الضمان يوميًا في الصيف من ماء النهر. فاذا جاء الشتاء وطفح النهر طفحًا فاحشًا رفعوا الالواح وحلُّوا السلاسل فانقسم الجسر الى نصفين يُربط الواحد منهما بالرصافة وهو الجانب الشرقي من المدينة ويُربط الآخر بالكرخ وهو الجانب الآخر. وذلك كيلا تفعل قوة جريان النهر في تركيبهِ شيئًا وكيلا تُلحق بهِ ضررًا

من مثل تفريق السفن وتقطيع السلاسل وتكسير الالواح الخ . فاذا تغافل اصحابهُ عن حلّهِ ولم يتلافوا الخطر جرّت المياه وراءها كل الجسر او نصفهُ الى مسافة ثلاثة ساعات او اكثر . فتتطع السلاسل ويحدث ما يحدث من الخسائر وحينئذٍ يضطر الاهلون الى طلبهِ لارجاعهِ الى مركزه على ضرب الطبل ولتشكيلهِ من جديد . ومما لا مراء فيه ان طريقة تركيب الجسر هذه ظلت كما هي عليهِ بدون ان يطرأ عليها ادنى تغيير البتة حتى استيلاء الخلفاء العباسيين على العراق . ولمَّا بنيت بغداد كانت جسورها من هذا الصنف والظاهر ان الناس على عهدهم لم يكترثوا بفن البناء كما فعلوا بسائر العلوم اذ لم يخلّفوا لنا ما يشهد لهم بتضلعهم من ذلك الفن كما فعل سلفاؤهم

فانظر الى الاشوريين انهم قد ابقوا وراءهم آثارًا بديعة الهندسة رفيعة البناء مما يقطع الشك بمهارتهم العالية في ذلك الفن بذلك الجسر الموجودة بقاياه حتى اليوم والمدفونة في مياه دجلة قرب الموصل ففيهِ من دقيق الصناعة بقدر ما يعترف لهم من البراعة وهو الذي مرَّ ذكرهُ في الفصل الماضي . وللبابليين في التفنُّن في البناء السهم المعلى فانهم كانوا يقيمون منازلهم اربع طبقات او اكثر ويشهد لهم بذلك هيرودوتس اثناء زيارته بابل (Hérodote I livre 1) وربَّ قارئٍ يعترض علينا بقولهِ : لماذا إذنْ اقام البابليون مع تضلعهم من علم البناء جسرًا دنيًّا دعائمهُ السفن الطوافة وارضهُ الواح الارز ولم يبنوه من الحجر الاصم . أُجيب كأني بهم اذا اقاموه من الحجر تعذَّر عليهم هدمه وقت الحروب وسهل على العدو اجتيازهُ ولهذا السبب عدلوا عنهُ . واليوم في ارض بابل علماء مستشرقون المانيون ينقّبون عن طبقاتها بأمرٍ سامٍ من الباب العالي . وقد وقفوا على قصر الملك نبوخذ نصر والمكتبة العمومية وبعض المدارس وغيرها بحالتها الأُولى سالمةً من عوامل الطبيعة كأنها الساعة خرجت من بين ايادي البنائين البابليين

اما في عهد مولانا السلطان فكأنَّ الامور أخذت جريًا جديدًا ألا تراهُ لم يترك زاويةً من واسع ملكهِ الَّا وترك فيها علائم نشاطهِ وهمتهِ وولعهِ بالعلوم . فقبل ثلاث سنوات اقام بامرهِ العالي المهندس الفرنسيّ جاكيس جسرًا حديديًّا على نهر الخرّ (هو شعبة من دجلة) بديع الشكل بلغت مصاريفهُ نحوًا من خمسة آلاف ليرة ولنا الأمل الوطيد بإقامة غيره على نهر بغداد (ستأتي البقيَّة)